(الدعوة إلى الله أهم وظائف المعلم)

في زاوية الرأي

كتب حمزة المزيني في العدد (١٣٤٧) من جريدة الوطن بتاريخ ١٤٢٤/٤/١٦هـ بعنوان (دعاة لا معلمون) يطلب إقصاء الدعوة إلى الله عن المدارس لأنه وجودها (سيسهم في تدني مستوى التعليم) كما يقول، وإني:

١) أوافقه في أن الكثير من المعلمين الدعاة ينقصهم الفقه لأن بضاعتهم لا تتجاوز ما سُمّي - خطأ - بالفكر الإسلامي، وهو شيء وآخر غير الفقه في الدين الذي يقوم على الوحي وهو وحده البقية من رب العالمين، ولا يجوز نسبة شيء من الإسلام إلا إليه.

٢) وأوافقه في أن (مصطلح داعية) ألحظ أيضاً فقد وصف الله خير دعاته: نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿وداعياً إلى الله بإذنه﴾ منذراً غير مؤمن. هذا المصطلح صار يطلق على أناس أكثرهم لا يستحقونه إضافة إلى لقب: العلامة والإمام، الخ وهذه خطيئة وسائل الإعلام قبل غيرها.

٣) وأوافقه في أن الدعوة الفكرية غير الشرعية أفسدت وزاحمت أمر التعليم بل أفسدت وزاحمت أمر التربية الحقة في خير أمة الله وفي خير أهله فلم تنتج غير الفتنة لقلة فقه أكثر القائمين على الجمعيات المدرسية الدينية والمراكز الصيفية والرحلات المدرسية ودور تحفيظ القرآن، ولولوعهم في الحزبية الدينية المبتدعة وانشغالهم بمناهج الضالة عن مناهج النبوة.

٤) ولكني أخالفه في ظنه أن المعلم لا يجوز له دعوة تلاميذه إلى الله (كأننا لسنا مجتمعاً مسلماً بالفطرة أو كأن الإسلام الذي نحيا عليه ليس كافياً)، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو آل بيته وأبناء صحابته والمسلمين عامة ويحذرهم من الابتداع في الدين وأشنع الشرك بالله في عبادته، وأكبر أبوابه متدفوم نوح حتى تقوم الساعة: المزارات والمشاهد والمقامات والأضرحة، وهي أوثانه الجاهلية الأولى

والحاضرة والمقبلة فقد ثبت في الصحيحين معاً وفي أحدهما منفرداً وفي مسند الإمام أحمد (رحمهم الله جميعاً) أنه النبي صلى الله عليه وسلم استمر في دعوة خيار المسلمين وصفوتهم حتى الساعات الأخيرة من حياته وأنه آخر ما أوصاهم به سد ذرائع الشرك في مثل قول عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة جعل يلقي على وجهه طرف خميصة له فإذا اغتم كشفها عنه وهو يقول: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، قالت: يحذر مثل الذي صنعوا، متفق عليه، ومثل قول رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم رفع رأسه [في مرضه موته] فقال [عن ضلال النصارى]: «أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة» متفق عليه.

ولا يكاد بلد مسلم - خارج هذه البلاد والدولة المباركة - يخلو من أوثانه المقامات والمزارات، يتملقون بها المسلمون أو يتفقون عليها مع اليهود والنصارى وفرق الضلال الأخرى. وكانت أمثالها موجودة في هذه الأرض المباركة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً حتى بعث الله هذه الدولة المباركة لتجديد دينه بالعودة به إلى أصله فأزالت الدولة الأولى ثم عادت بزوالها حتى أزالت الدولة الحاضرة حفظها الله قدوة صالحة.

وعن المستقبل قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة» متفق عليه وهو وثن في تبالة (قرب بيشة) وفي جبل دوس (من زهران)، وقد هُدم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام فلم يُهدم حتى هدمته هذه الدولة المباركة مرتين مع أمثاله.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى» رواه مسلم.

٥) وأخالفه في ظنه أن النهي عن زيارة القبور للنساء يلزم منه عدم تذكيرهن

الموت، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر خيار هذه الأمة الموتى رجالهم ونساءهم، صغارهم وكبارهم، وفي أمرهم ونهيهم في كل خطبة يوم الجمعة (وهي أهم مثل وقدوة للدعوة والدعاة قبل أن يحولها المبتدعة إلى ملحق لوسائل الإعلام)، وقالت أم هشام بنت حارثة ابن النعمان: لقد كان تنورنا وتنور رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة وما أخذت (ق والقرآن المجيد) إلا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس» رواه مسلم في صحيحه، وروى مثله عن أخت عمرة بنت عبد الرحمن.

٦) ولكني أوافقه في أنه من أكبر أخطاء الدعاة المفكرين غير الفقهاء: صرف الاهتمام إلى المهم - أو عدم المهم - عن الأهم؛ فيشغلونه الناس بما فوق أو تحت خط كما قال)، بل بالنوافل عن الفرائض وبالصغائر عن الكبائر، بل بالفتنة والتكفير والجرح الوهمي عن توحيد الله تعالى وسنة رسوله.

٧) وأهم وظائف المعلم الدعوة إلى الله على بصيرة من كتاب الله وسنة رسوله، على منهج النبوة المعصومة، لا على المناهج القاصرة لحسن البنا أو سيد قطب أو النبهاني أو أي بشر غير معصوم، وبخاصة في الدولة الوحيدة التي أسست من أول يوم على ذلك منذ القرون المفضلة أدام الله على صراطه المستقيم ميزة بشرى، هادية مهتدية.

٨) (إحاطة الدعوة والدعاة بنا من كل جانب) كما يقول الكاتب منقبة لا منقصة، وتميز من الله للدولة والبلاد وأهلها، بل هي ميزة الأولى والقصوى والوحيدة تبرع الله على ذلك، ولكنه لابد من اختيار القائمين على الدعوة في مؤسسات التعليم العامة والخاصة على أسس جديدة من العلم بشرع الله والفقه في دينه والتزام منهج نبيه، والموازنة بين الواجبات؛ فلا إفراط ولا تفريط، والله ولي التوفيق.